آفة التدخين وبلاء التبغ

شريعة الإسلام في مباحاتها جالبة للنافع محققة للمصالح، وهي في نواهيها دافعة للشرور نافية للأضرار، وشريعتنا مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن أجل هذا فقد أباح الله سبحانه لعباده كل طيب وحرم عليهم كل خبيث: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾.

ومن أخص أوصاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأطهر نعوته يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، وإذا كان هذا متقررا في الإسلام نصوصا وأصولا وقواعد ومبادئ مستقرا لدى أهل الإسلام في جميع مذاهبهم واجتهاداتهم.

فتأملوا في هذه البلوى التي ابتليت بها البشرية، وضج منها العقلاء والحكماء، فضلا عن الأطباء والعلماء والمربين وعلماء الاجتماع، حتى قالوا ليس في الوجود بأسره عامل هدم بصحة الأبناء والبنات وكفاءاتهم وأخلاقهم مثل هذا البلاء؛ بل لقد قالوا لا نظن أن الجنس البشري منذ بدء الخليقة ضعف واستكان أمام عدو من أعدائه كما فعل أمام هذه البلية.

لقد أسرته وأذلته وحطمته؛ بل لقد قتلته وأهلكته، فإنها المدمر لصحة

الأفراد، وسلامة الأطفال، وشقاء الأسر ومصالح المجتمع، وسعادة الأمم واقتصاد الدول، أتدرون ما هذه البلية ومن هو هذا العدو وهذا القاتل المهلك السفاح مهلك الحرث والنسل؟

إنه آفة التدخين وبلاء التبغ والدخان بأنواعه وألوانه: تدخينا وسعوطا ومضغا ونشوقا طبيعيا أو الكترونيا، التدخين مغوٍ غرار، وعدو مكار، عدو الإنسانية وعامل هدمها وكيانها، الدخان أشد الأوبئة انتشارا، وأكثرها خطرا وأعظمها بلاء وضررا.

لقد اتفق التربويون والإعلاميون والرياضيون والاقتصاديون، وعلماء النفس والمحامون وخبراء العلاقات العامة وعلماء الاجتماع، وقبلهم وبعدهم علماء الشرع المطهر والأطباء اتفقوا جميعا على خطر هذه الآفة ووجوب مواجهتها ومكافحتها ومنعها، ومنع وسائلها وأسبابها نعم لا يستريب عاقل مدخن وغير مدخن، إن الدخان خبيث لا طيب فيه، ممرض لا صحة فيه، ومضر لا نفع فيه، وخسارة لا كسب فيه، وليس بغذاء ولا دواء لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا يجني المدخن المسكين سوى هذه الأبخرة المتصاعدة يدخلها في جوفه لتسري في جميع أجزاء جسده، ويبقى آخرها رمادا بين أصابعه، وليته مجرد دخان؛ ولكنها السموم القاتلة يدفعها إلى داخل جسده لتبلغ جميع أجزاء بدنه، وتسري مع عروقه وأعصابه، لتفسد ولا تصلح وتهدم ولا تبني.

التدخين مَرَض وهلاك، وضياع مال، وضياع أسر؛ بل ضياع أمم، وهذه ليست مبالغات حيث يقر ذوو الاختصاص من الأطباء أنه قد ثبت يقينا تسببه في أمراض سرطان الرئة، والشفة واللسان والبلعوم والمريء والمثانة والتهاب الشعب الهوائية، وأمراض الأوعية الدموية وانسداد الأوعية الدموية في الأطراف، كما يسبب قرحة المعدة والاثنى عشر، وكل تدخينة يدخنها المدخن تزيد من مخاطر الإصابة بالسكتة القلبية، فما بالكم بمن يدخن العشرات يومياً، وتؤكد منظمة الصحة العالمية والهيئات الطبية أن التدخين هو أكبر خطر على الصحة تواجهه البشرية اليوم، وهو ثاني أكبر أسباب الوفاة في العالم بإذن الله، إن عدد الذين يلاقون حتفهم أو يعيشون حياة قاسية مليئة بالأسقام والأمراض المزمنة، بسبب التدخين بكافة صوره، ويفوقون عدد الذين يموتون بسبب المخدرات والطاعون والسلِّ والجذام والايدز مجتمعة كلها، وهذه المقارنة ليس تقليلا من خطر هذه الأمراض ولا سيما المخدرات والايدز، ولكن لبيان خطر التدخين الفتاك، وإنه لا يترك جزءا من أجزاء الجسم إلا وناله من ضرره وأذاه من الصدر والرئة والقلب والأسنان والمخ وجهاز الهضم والجهاز العصبي وتجاعيد الوجه والجلد، واضطراب النوم والاكتئاب والعقم، واضطراب الطمث عند النساء حتى الجنين في بطن أمه؛ بل قرروا أن التدخين مفتاح المخدرات وبوابتها الكبرى، وباب سوء الأخلاق وضعف

الشعور بالمسؤولية الأخلاقية، والميل إلى الكذب والنفاق والسرقة.

وأما آثاره الاقتصادية على الفرد والأسرة والأمة والإنسانية، فحدث عن الفقر والإفلاس والدمار ولا حرج مع أن ما سبق من الآثار الصحية كافٍ لمن كان له قلب، وتجدر الإشارة إلى أن تكاليف الرعاية الصحية لضحايا التدخين لا تحسب إلا بمئات الآلاف من الملايين بالعملات الصعبة نصفهم من المنتمين إلى ما يعرف بالعالم الثالث، ناهيكم بخسارات الأفراد في علاجهم أنفسهم وأسرهم من مضاعفات التدخين وآثاره من السعال والحساسية وضعف المناعة وغيرها، وفي مقارنة أخرى فإن ما تنفقه الدولة أي دولة على خدمات الرعاية الصحية لعلاج أضرار التدخين وآثاره يفوق كثيرا الأرباح التي ترجوها من التبغ ومنتجاته، الدول تخسر المليارات من مواردها ومداخلها والضحايا في تزايد مطرد مخيف من المدخنين وغير المدخنين، ولقد بلغ علاج آثار التدخين في بعض الدول ثلث ميزانيتها، إن من المضحك المبكي أن استهلاك الدخان يزيد في الفجوة بين الأغنياء والفقراء، فعائلات المدخنين في البلدان الفقيرة محرومون من الضروريات الأساسية مثل الصحة والتعليم، حتى أن الإنفاق السنوي على التدخين يمثل ستة أضعاف المنفق على الصحة، وثمة أثر آخر وهو ما يعرف بالتدخين القصري أو التدخين السلبي، وهو تأثر غير المدخنين بالدخان المتصاعد من المدخنين، وتلوث المكان والملابس

والحيطان والأسقف والأثاث والفرش يستنشقها غير المدخنين من الرجال والنساء والأطفال فلا تجلس في مجلس هذا المدخن.

***** *****

الخطبة الثانية

نناشد المبتلين بالتدخين أن يقتلوه قبل أن يقتلهم، واهربوا منه قبل أن يلتف عليكم بحباله فيوثقكم، واحموا أنفسكم وأطفالكم وأهليكم، واحفظوا أموالكم، واسمعوا إلى ما تقوله التقارير العلمية الموثقة، حيث تقول إن التوقف عن التدخين سيؤدي بإذن الله إلى تحسن الأوضاع كافة، الصحية والاقتصادية بما لا تستطيعه جميع الوسائل الصحية والطبية الأخرى مجتمعة، ورسالة صادقة إلى المدخنين بالاجتهاد للخلاص من التدخين بعزيمة عازمة وهمة حازمة، وأن يبت في أمره بتا وأن يقلل من شرها ما استطاع على نفسه وغيره، واحذروا ممن يحسنون لكم هذه الآفة أو يَغُرون بها أحداً صغيراً أو كبيراً، وحينما يعافيهم الله وينجيهم من هذه الآفة، فإن آثارها العاجلة بإذن الله حياة أطول وزيادة في اللياقة الجسمية وصفاء في البشرة، ومظهر أجمل ورائحة أزكى وطعم أشهى، ومال أوفر وحياة أسعد ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

ومع الأسف الشديد فإن منطقة الشرق الأوسط تصنف بأنها إحدى

الأقاليم الموبوءة بانتشار هذه الآفة، كما أنها مع الأسف من أكبر الأسواق المستهدفة لترويج هذه المصيبة العظيمة، يجب إصدار الأنظمة والقوانين والتعليمات الصارمة لمنع التدخين على الأفراد والمؤسسات في كل المنتديات والتجمعات، ويجب بحزم منع الترويج له أو الدعاية، ويجب إصدار التعليمات الحازمة التي تحفظ صحة الناس، وتؤمن أماكن نظيفة خالية تماماً من هذا الوباء الفتاك وآثاره، وإذا أصدرها ولي الأمر أصبحت تعاليمه واجبة الطاعة والاتباع، وتحرم مخالفتها ويأثم المتجاوز فيها.

إن التدخين عبث بالأبيض والأسود والحاضر والبادي والمتعلم والأمي والشريف والوضيع، والمدخن لا يربح إلا قلباً سقيماً ونفساً مضطرباً وذهناً كليلاً وأعصاباً ثائرة وحيوية مهدمة وحياة قصيرة مرهقة، وإذا كان ذلك وأشد من ذلك فإنتاج التبغ وتسويقه والاتجار به مسالك مضرة مهلكة لا يمكن قبولها أو الدفاع عنها، إن تجار التبغ وصنّاعه وشركاته تنشر الموت والأمراض وتفسد البيئة وتهلك الأنفس وتضيع الأموال في أرجاء الدنيا كلها، فهي تجارة خاسرة للزارع والمنتج والمصدر والمستورد والمسوق والمستعمل، وبعضهم أكثر من بعض ولن تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، ومن المضحكات المبكيات أن يدخن الزوج والزوجة وما عهدنا ذلك سوية، ويذهبون للمقاهي للتدخين فهذه

مصيبة تصغر أمامها المصائب.

فيا أيها الناس: نزهوا أنفسكم من الوقوع في هذه الآفة التي تهلك النفس وتفسد الصحة، وتنهك القوة وتذهب بالنضارة وتضيع المال، واحذروا يا أبناءنا من أن تسقطوا في الوهم فتتخيلوا أنها علامة الرجولة أو استقلال الشخصية.

حافظوا على أنفسكم وأموالكم أن تضيع هباء أمام هذا المنكر القبيح.